

خطبه الجمعة - الخطبة ٠٠٥٦ : الكبر .

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-٨-١٩٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله نحده ، و نستعين به و نسترشد به و نعوذ به من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لك ، إقراراً بربوبيته و إرغاماً لمن جد به و كفر ، و أشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق و البشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلي وسلام وبارك على سيدنا محمد و على آله و أصحابه و ذريته و من تبعه ذي إحسان إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمرون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الكرياء لله عز وجل .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الكرياء الله رب العالمين الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدي ، والذي إذا ظهر قهر ، وإذا تجلى طاشت لأنوار جلاله أباب البشر .

﴿فَلَّهُ الْحَمْدُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ
الْأَرْضِ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكَبْرِيَاءُ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾

[سورة الجاثية الآية ٣٦-٣٧]



من تنزل ؟

أيها الإخوة ؛ ذلة العباد لربهم بالحق لا بالباطل ، فإن الخلق والأمر والغنى والملك له وحده ، ومصير العباد رهن مشيئته وطوع إرادته ، وهم إنما يكونون في أزكي أحوالهم ساعة تعنو جباهم لرب العزة .

أما ذلة العبد لعبد مثله فباطل لا ريب ، والمتكبر هنا متطاول مبطن يزعم لنفسه ما ليس فيها ، والوضع المستعبد جاهل بقدر تحمله تحمل من الأوزار ما لا يطيق ، وقد حرم الإسلام الكبر وحرم الذل وأوجب العزة .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدْلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدْلٍ مِنْ كِبْرِيَاءً))

[أخرجه مسلم والتزمي]

عَنِ الزَّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجْرِي إِزَارَهُ مِنَ الْخِيلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه البخاري والتزمي وأحمد]



لقد حرم الإسلام الكبر والذل وأوجب العزة

وقد حرم الإسلام على المسلم أن يهون أو يستنزل أو يستضعف ، لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أو عبد الله بن عمر قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

((شرف المؤمن قيامه في الليل وعزه استغاثة عن الناس))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 ((من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه تعالى ، ومن تضعض لغنى لينال مما في يديه أسطخ الله عز وجل))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

أيها الإخوة ؛ التالم من الحرمان ليس ضعة ، ولكن تحول الحرمان إلى هوان هو الذي يستتركه الإسلام .

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ رَجُلٌ لِكَرِيْهِ أَرْجُلٌ رِكَابِكَ فَإِنْ لَمْ أَرْجُلٌ مَعَكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَلَكَ مِائَةُ دِرْهَمٍ فَلَمْ يَخْرُجْ فَقَالَ شُرِيْخٌ مَنْ شَرَطَ عَلَى نَفْسِهِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرِهٍ فَهُوَ عَلَيْهِ .

إن إعزاز المؤمن بنفسه ودينه وربه هو كثرياء ، إيمانه وكثرياء الإيمان غير كثرياء الطغيان إنها أفة المؤمن أن يصغر لإنسان ، أو يتضع في مكان أو يكون ذنباً لإنسان . قال تعالى :

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْدُعُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبُورُ﴾

[سورة فاطر الآية: ١٠]

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبُورُ﴾

[سورة فاطر الآية: ١٠]

رضي الله عن عمر إذ يقول : أحب من الرجل إذا سيم خطة خسف أن يقول بملء فيه ((لا))

علم يصبح المؤذن كل يوم خمس مرات الله أكبر ، الله أكبر ، إن كل متكبر بعد الله ذليل ، وإن كل متعاظم بعد الله حقير .



إن اعتزاز المؤمن بنفسه ودينه وربه هو كثرياء إيمانه

العزّة حق يقابلها واجب وليس يسough لامرئ أن يطلب بماله من حق حتى يؤدي ما عليه من واجب ، فإذا كلفت بعمل وأدبيته على أحسن وجهه فلا سبيل لأحد عليك ، ولا يستطيع من فوقك ولا من دونك مرتبة أن يوجه إليك كلمة محراجة ، وعندئذ تستطيع أن تحافظ بعزة نفسك أمام رؤسائك حين تسدُ التغرات التي ينفذون منها إليك ،

إن أكبر أعدائك يتهميك :

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((اکلُفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْلُكُ حَتَّىٰ تَمْلُوْا وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ اللَّهُ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَ
وَكَانَ إِذَا عَمِلَ عَملاً أَثْبَتَهُ))

[أخرج البخاري ومسلم وأبو داود]

قال تعالى :

«الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَرَبِّادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنْ عَاصِمٍ
كَانَمَا أَغْشَيْتُ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»

[سورة يونس الآية: ٢٦-٢٧]

أيها الإخوة ؛ يتبيّن من هذه الآية أن ارتكاب السيئات والآثام سبيل إلى السقوط والإهانة ، ومزقة إلى خزي الفرد والجماعة .

لماذا كان في النفس الإنسانية ضعف وقلق ، وربما حملها هذا الضعف على الخنوع لمن يملك الفضل في أمورها ، وقضاء مطالبها ، وربما انزلقت إلى مواقف تخديش كرامتها وعزتها ، لذلك

علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نستكين وأن نبقى جباهنا عالية ونحن نسعى إلى ما ينبغي ف قال :

((اطْلُبُوا الْحَوَاجْ بِعْزَةَ الْأَنْفُسِ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ تَجْرِي بِالْمَقَادِيرِ))

وقد بين لنا ربنا أن البشر ولو اجتمعوا بأسرهم أدل من أن يمنعوا شيئاً أعطاء الله ، وأقل من أن يعطوا شيئاً منعه الله، إذن على المسلم أن يرد مصير الأمور إلى مدبرها الأعظم ، وليكبر دينه فلا ينزل ، وليملك نفسه فلا يعطي فرصة لأحمق فيما يستعلي ويستكبر ، فإن قراراً ما لن يتم إلا إذا أمضاه الله.

ارتكاب السيئات والآثام سبيل إلى السقوط والإهانة



أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾

[سورة فاطر الآية: ٢٤]

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة يونس الآية: ٢١]

فالأدنى إلى الحق ، والأقرب إلى النفع ، والارشد في علاج المشكلات أن يصل منتصب القامة مرتفع الهمة لا تدنيه حاجة ولا تطوية شدة يلتئم إلى مولاه بالدعاء ، ويكشف انكساره لربه وحده ، فلا يبدي صفة وجهه لمخلوق ، فاقهاً قول الله عز وجل :



﴿وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة الأنعام الآية: ١٧]



لقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الاستغاء والاكتفاء وكظم النفوس عن أن تسأل الناس شيئاً حتى التافه الذي لا يُفيد ، فكان أحدهم ينزل عن ناقته ليانقطع سوطه ، ويرفض أن يكفل أحداً مناولته إياه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ إن الناس يذلون أنفسهم ، ويقبلون الدنيا في دينهم ودنياهم لواحد من أمرین أما أن

يصابوا في أرزاقهم أو في آجالهم ، والغريب أن الله قطع سلطان البشر عن الآجال والأرزاق جميعاً فليس لأحد إليهما سبيل ، والناس في الحقيقة يستذلهم الحرص على الحياة والخوف على القوت والناس في خوف الذل في ذل ، ومن خوف الفقر في فقر .

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾

[سورة الملك الآية: ٢٠]

يا من الوذ به فيما أؤمله
 ومن أعود به فما أحلا
 يجبر الناس عظماً أنت كاسره
 ولا يهیضون عظماً أنت جابره
 وهذا هو التوحيد الكامل ، لقد أراد
 الإسلام أن يجتث عوامل الفلق في
 النفوس ، وأن يكشف عنها الضيق حتى
 تتنفس في جو طلاق ، فقال عليه
 الصلاة والسلام :



((إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والبزار في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أبو الدرداء رضي الله عنه]

إن هذا ليس معناه أن يقعد الناس عن طلب الرزق ما يظن بعض الجهلة ولكنه يحمل المسلم على أن يجعل في الطلب ويقلل من الإلحاح الشائن والتملق المعيب ، قال تعالى :

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْتَظِرُونَ﴾

[الآية: ٢٢-٢٣ سورة الذاريات]



عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 ((ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا
 قد أمرتم به ، ولا عمل يقرب إلى
 النار إلا قد نهيتكم عنه ، لا يستبطئ
 أحد منكم رزقه ، أن جبريل عليه
 السلام ألقى في روبي أحداً منكم
 لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه
 ، فاتقوا الله أيها الناس ، واجملوا في

الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله ، فإن الله لا ينال فضله بمعصية))

[الآية: ٢٣-٢٤ سورة الذاريات]

قد حرص الإسلام على أن نعرف أن هؤلاء الذين نتردد عليهم في حاجاتنا إنما هم ممر للعطاء ،
 أو مظهر للمنع ، ولكن الله هو المعطي والمائع ، روي عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال :

((لا ترضين أحد سخط الله ، ولا تحمن أحداً على فضل الله ، ولا تذمّن أحداً على مالم يوتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا ترده عنك كراهية كاره ، وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين ، وجعل لهم والحزن في السخط والشك))

وهذا الحديث الشريف لا يغنى إنكار
فضل الناس ، وازدراء إحسانهم فإن
الحديث الشريف يقول :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)

[أخرجه الترمذى]



الذين نتردد عليهم في حاجاتنا هم ممر للعطاء



ولكن معناه ألا يستعبد الإنسان بعطائه
 جاء من إنسان ، حتى تداس كرامته
 فإن المنة لله أسبق ، ولا يجوز للمعطي
 أن يقصد بهبته شراء الأنفس
 والتصرف فيها ، فإن هذا يحط أجره ،
 أما الذين يعطون الله وابتغاء مرضاته
 فهو لاء يجب أن يكافئوا من أعطى
 عطاء ، فليجز به إن وجد فإن لم يجد
 فليشن به ، فإن من أثني به فقد شكره
 ومن كتمه فقد كفره .

أما تهيب الموت وتحمل العار طلباً للبقاء في الدنيا على أية صورة فذلك حمق فإن الفرار لا يطيل
 أجلاً ولا ينقص عمرًا ، قال تعالى :
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجْلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

[سورة الأعراف الآية: ٣٤]

عن ابن عمر رضي الله عنهم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
((بني الإسلام على خمس شهادة أن
لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج
وصوم رمضان))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنمسانى]

فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أيها الأخوة الكرام؛ حاسبو أنفسكم قبل
أن تحاسبو ، وصلوا ما بينكم وبين
ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ
حضرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على
الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدـ عبدـه
ورسولـه صاحـبـ الـخـلـقـ الـعـظـيمـ .

الدعاـءـ :

اللهـمـ اهـدـنـاـ فـيـمـ هـدـيـتـ ، وـعـافـنـاـ فـيـمـ عـافـيـتـ ، وـتـوـلـنـاـ فـيـمـ تـوـلـيـتـ ، وـبـارـكـ لـنـاـ فـيـمـ أـعـطـيـتـ ، وـقـنـاـ
وـاـصـرـفـ عـنـاـ شـرـ مـاـ قـضـيـتـ ، فـإـنـكـ تـقـضـيـ بـالـحـقـ وـلـاـ يـقـضـيـ عـلـيـكـ ، اللـهـمـ أـعـطـنـاـ وـلـاـ تـحرـمـنـاـ ،
أـكـرـمـنـاـ وـلـاـ تـهـنـاـ ، آثـرـنـاـ وـلـاـ تـؤـثـرـ عـلـيـنـاـ ، أـرـضـنـاـ وـارـضـ عـنـاـ ، اللـهـمـ صـنـ وـجـوهـنـاـ بـالـيـسـارـ وـلـاـ
تـبـذـلـهـاـ بـالـإـقـتـارـ ، فـنـسـأـلـ شـرـ خـلـقـكـ ، وـنـبـتـلـ بـحـمـدـ مـنـ أـعـطـيـ ، وـنـذـمـ مـنـ مـنـعـ ، وـأـنـتـ مـنـ فـوـقـهـ وـلـيـ
الـعـطـاءـ ، وـبـيـدـكـ وـحـدـكـ خـرـائـنـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـ .

الـلـهـمـ اهـدـنـاـ لـصـالـحـ الـأـعـمـالـ لـاـ يـهـدـيـ لـصـالـحـهـاـ إـلـاـ أـنـتـ ، وـاـصـرـفـ عـنـاـ شـرـ الـأـعـمـالـ لـاـ يـصـرـفـهـاـ عـنـاـ
إـلـاـ أـنـتـ .

والحمد لله رب العالمين

